إشكالية المفاهيم في الخطاب النقدي الفكري العربي المعاصر: محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي -نموذجا

(The problematic of concepts among the critical speech in modern Arab thought : Mohammed Abed Al Jabri - George Tarabishi)

قميتي خديجة*

جامعة الجزائر2، younes_mon@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/12/04 تاريخ القبول: 2020/03/06 تاريخ النشر: 2020/06/28

الملـخـص:

تهدف الدراسة إلى البحث في إشكالية المفاهيم القائمة على الخطاب النقدي بين المفكرين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي كمسألة مطروحة في الفكر العربي المعاصر، بسلسلة نقديةموسومة بنقد العقل العربي للجابري، مناظرة مع سلسلة نقد العقل العربي لطرابيشي، و تتبنى في مجملها أهم المشاريع و القضايا الفكرية التي قدمها طرابيشي بمقاربة مفاهيمية نقدية ابستمولوجية معاصرة، الغرض منها الدعوة إلى النظر في الحديث عن تكوين العقل وبنيته، والثورة على التقليد المقيد للعقل العربي وأزمته لفترة طويلة من جهة، والقول بالنقل والاقتباس عن الآخر الغربي من جهة أخرى، مما يدعو إلى التمحيص بمنهج نقدي مقارن، اعتمادا على المرجعيات الفكرية التي أقام عليها الجابري فلسفته. لهذا فموضوع دراستنا يتمحور حول المشروع الذي قدمة طرابيشي كمشروع نقدي للجابري من حيث المفهوم وتشكيل المفهوم والدعوة الى إعادة المفهوم منحيث هو مفهوم، من زاوية إبستمولوجية، بما يتوافق مع متطلبات العقل العربي، متناولا في ذلك مشروع نقد العقل العربي والقراءة في التراث وتشطير العقل الى غير ذلك من المفاهيم.

الكلمات المفتاحية : المفاهيم ، الخطاب ، الخطاب النقدي ، الفكر العربي المعاصر ، التجديد ، نقد المفاهيم

Abstract:

The study aims at examine the problem of concepts based on the critical discourse between the thinker Muhammad Abed al-Jabiri and the thinker George Tarabishi as a matter raised in contemporary Arab thought, with a huge critical series , which is characterized by the criticism of the Arab mind of al-Jabiri, debating with a series of criticizing the criticism of the Arab mind

* **المؤلف المرسل:** قميتي خديجة، **الإيميل:** younes_mon@yahoo.fr

المنارة للاستشارات
ww

of Tarabishi, and it adopts as a whole the most important intellectual projects and issues , Which was presented by Tarabishi with a conceptual critical epistemological contemporary approach. The purpose of it is to call for the consideration of the formation of mind and its structure and the revolution on the tradition that restricted this Arab mind and causes him a big crisis for a long period of time on the one hand and the call for copying and quoting from the western one from the other Hand which calls for scrutinizing with a critical comparative approach, depending on the intellectual references that were established by Jabiri philosophy.Therefore, the subject of our study revolves around the project presented by Tarabishi as a critical project to Al Jabiri in terms of concept and the formation of concept and the call for the concept to be redefined from an epistemological point of view in accordance with the requirements of the Arab mind, including the project of criticizing the Arab mind, reading in the heritage and splitting the mind in addition to other concepts.

Keywords: The Concepts, the discourse ,the Critical discourse, Contemporary Arab thought, Renewal, Criticism of concepts.

إشكالية وتساؤلات الدراسة:

الحديث عن مستقبل الفكر العربي لتحديد أسباب التعثر والتأزم، نال اهتمام المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين لفترة زمنية تراوحت منذ بدايات نشأة الفكر العربي الحديث منتصف القرن التاسع العاشر،إلى مرحلة تطوره حتى مرحلة نقده، إلى أن امتد إلى الفكر العربي المعاصر، بحثا في تجليات هذا التخلف الثقافي والسياسي والاجتماعي وصولا إلى التخلف الفكري بصفة عامة، ولعل البحث عن الخلاص ينصبّ في مجمله عن البحث في اللبنة الأساسية، التي يقوم على أساسها الفكر بجميع مجالاته، سواء السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، وهو العقل من ناحية المفهوم والنشأة والتأسيس إلى التطور، لكن السؤال الرئيسي والجوهري يتمثل في سبب تأخر العقل العربي ومشكلة التجديد والإبداع، لذا طرحت العديد من الأسئلة التي تبحث في النهضة والتجديد، بداية من القرن الماضي، والتي أثارها العديد من الكتاب والمفكرين العرب،وانقسمت بذلك إلى اتجاهات و تيارات فكرية تدعو في معظمها إلى التجديد والنهضة واختلفت في العلاقة بين الشرق والغرب،وحول مشروعيتها من عدمها، ولعل ذلك يتضح في التطور التقني الرهيب الذي وصل إليه الغرب،بما جعله مثالا للتقدم والتطور، وقد تمثلت التيارات الفكرية العربية في تيار الإصلاح الديني والتيار العلمي الليبرالي إلى التيار الليبرالي التنويري .

والقول بهذه التيارات ليس الدعوة إلى إحيائها، أو إعادة النظر في ما جاء به المفكرون في العصر الحديث، إنما هي الدعوة إلى إعادة صياغة تلك المفاهيم التي نال منها الزمن، ولعل المفاهيم الأبرز في ذلك هي مفهوم العقل ومفهوم التراث، إلى القطيعة الابستمولوجية مع الماضي، والدعوة إلى

المنارة للاستشارات

التجديد،(محمدعابدالجابري،1997،ص.22)ويتجلى ذلك في مقاربة المشاريع الفكرية بين المفكرين والباحثين، لذا فدراستنا قد اهتمت بموضوع يتضمن البحث عن الأساليب النقدية في إشكالية المفاهيم في الخطاب الفكري العربي المعاصر كدراسة نقدية مقارنة بين محمد عابد الجابريوجورج طرابيشي(محمد عابد الجابري مفكر مغربي "1935-2010"، له العديد من المؤلفات والكتب أهمها سلسلة النقد العقل العربي المكونة من : تكوين العقل العربي (1) سنة 1982 ، بنية العقل العربي (2) سنة 1986 ، العقل السياسي العربي (3) سنة 1990 ، العقل الأخلاقي العربي (4) سنة 1990 / جورج طرابيشي: مفكرو كاتب وناقد ومترجم سوري"1939-2016"،من أهم مؤلفاته سلسلة نقد العقل العربي التي تتألف من خمسة أجزاء آخرها من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، (1) نظرية العقل العربي (2) إشكاليات العقل العربي (3) وحدة العقل العربي (4) العقل المستقيل في الإسلام) .

السؤال الرئيسي :

س: هل المشروع الذي تقدم به طرابيشي الموسوم بنقد النقد، تمكن من فرض رؤية بديلة عن رؤية الجابري؟ و لنفترض ذلك هل تجاوز طرابيشي تلك النظرة القديمة والمفاهيم الكلاسيكية للعقل والتراث التي تحدث عنها الجابري؟

الأسئلة الفرعية :

س1 : على أي أساس تقوم الرؤية الفلسفية البديلة لجورج طرابيشي ؟

س2 : هل الدعوة إلى النقد التي دعا إليها طرابيشي من خلال إعادة بناء المفهوم العربي، دعوة كباقي الدعوات التي اصطدم بها الفكر العربي، أم أنها رؤية واضحة بعدسة التجديد والنهوض بالعقل والسير وفق ركب العقل الغربي ؟

أهمية الدراسة :

يكتسي الحديث عن إشكالية المفاهيم في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، أهمية بالغة نظرا للمشاريع الفكرية النقدية التي يقوم على أساسها الفكر العربي من خلال الدعوة إلى البحث في البنية التكوينية للعقل، والقول بإعادة النظر في ذلك العقل المتسم بالركود والتبعية لفترات متتالية، ناهيك عن الدراسات النقدية حول مفهوم التراث من منظور نقدي ابستمولوجي محض، كما كان الحديث بارزا عن تشطير العقل والعقلانية واللامركزية الفكرية والعلمانية والديمقراطية وغيرها من المواضيع الفكرية والسياسية، فمحور دراستنا -كما سبق الذكر- يتناول كل هذه المفاهيم، التي صاغها الجابري وطبعها بقالب فكري معين، وليدة ذهنه وبيئته معتمدا في ذلك على مصادر فكرية عربية أحيانا وغربية في أغلبها أحيانا أخرى.

وقبل الولوج في عرض أهم المفاهيم والاشكاليات الكبرى التي وضعها طرابيشي يجب الاشارة إلى المناظرة النقدية الفكرية التي قام بها طرابيشي،التي تحمل طابعا بنائيا تجديديا كما وصفه أغلب المفكرين

المنارة للاستشارات
ww

والكتاب والدارسين في مجال الفكر العربي، وهي إعادة بناء وتصحيح لما تركه الجابري من "مغالطات واقتباسات غير موثقة" كما صرح بها طرابيشي في أغلب حواراته.

مصطلحات ومفاهيم الدراسة :

قبل الولوج في عرض الخطوط العريضة للمحاولة النقدية يتوجب ضبط أهم المفاهيم الرئيسية التي يقوم على أساسها المقال والمتمثلة في : المفهوم، الخطاب، النقد.

أولا: المفهوم concept:

أ-المفهوم اللغوي: يعرف ابن منظور في " لسان العرب (المفهوم من فهم ، والفَهمُ : معرفتك بالقلب . فهمه فهما وفهما وفهامة: علمه وفهمت الشيء: عقلته وعرفته . وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء)(ابن منظور،د.س، ص. 459).

ب- المفهوم الاصطلاحي : يعرف أندريه لالاند المفهوم concept في الموسوعة الفلسفية أنه (الفكرة بالمعنى بوصفها مجردة وعامة أو على الأقل قابلة للتعميم ، وتختلف المذاهب المتنوعة حول تصور وتفسير تشكل المفاهيم)(لالاند، 2001، ص. 194).

ثانيا : مفهوم الخطاب speech :

((عبادُالرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) سورة الفرقان الآية 63.

جاء معنى الخطاب في الآية الكريمة بالحوار بين طرفين عباد الرحمن والجاهلون .

أ-المفهوم اللغوي : جاء في لسان العرب مفهوم الخطاب : " الخطاب والمُخاطَبَة : مُراجَعَة الكَلامِ ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخطابا وهُما يَتخاطَبانِ ، وقال خطب فلان الى فلان فخاطبه أي أجابه على الكلام والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام(ابن منظور، ص ص1194-1195).

ب-المفهوم الاصطلاحي : ارتبط مفهومه بأدبيات هاريس سنة 1852 باعتباره حديث النشأة في مجال (تحليل الخطاب) فعرف على أنه "اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة، كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة، لها بداية و نهاية "(سعيد يقطين،1997،ص.21).

ثالثا : مفهوم النقد scrutinize :

أ – المفهوم اللغوي : يعرف ابن منظور في لسان العرب النقد (النقدُ ، خلاف النسيئة ، والنقدُ و الانتقاد : تمييز الدراهم و إخراج الزيف منها ، وفي حديث ابن الدرداء أنه قال : إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك، معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله، وهو من قولهم نقدت رأسه بإصبعي أي ضربته)(ابن منظور، د.س، ص. 425) .

ب-المفهوم الاصطلاحي : جاء تعريف النقد في الموسوعة الفلسفية لأن دريلالاندAndré LALANDE أن العملية النقدية هي (أن العقل يشكل المعرفة ويكوّنها بمقتضى أشكال أو مقولات خاصة به ، وتاليا

المنارة للاستشارات
ww

تكون في آن واحد ناجعة وقويمة في حدود الاختبار ، وبلا قيمة خارجه)(أندريه لالاند،2001، ص. 237)

إن المفهوم في معناه الشامل يعبر عن المصطلح الذي يحمل أبعادا مختلفة فكرية وسياسية واجتماعية ودينية ويمكن أن تكون أبعد من ذلك على حسب طبيعة كل مفهوم، أما اشكالية المفهوم فتحمل على اللبس والاختلاف الذي يقع فيه ذلك المفهوم مما قد يسبب تناقضا جوهريا من حيث المصطلح و مضمون المصطلح - وهو الذي يعبر عن المفهوم بصيغة أخرى -، ولما نتطرق لعرض إشكالية المفهوم يستلزم وجوبا الخضوع لكل شروط ذلك المفهوم زمانيا ومكانيا وفق الفترة الزمانية والمكانية التي أنشئ فيها، كما أن الحديث عن المفهوم في الخطاب النقدي يأخذ نصيبه الوافر من الأبحاث والدراسات الفكرية والأكاديمية نظرا للأهمية البالغة التي يكتسيها في ظل المشاريع النقدية التي أنتجها الفكر العربي المعاصر، ولعل من أهم هذه المشاريع الكبرى مشروع نقد العقل العربي للمفكر المغربي محمد عابد الجابري، ومناظرة لذلك ألف المفكر السوري جورج طرابيشي خمسة أجزاء كاملة اهتم فيها بنقد فكر الجابري بسلسة موسومة بنقد نقد العقل العربي، عبر فيها طرابيشي بإسهاب عن هذا الخطاب النقدي الفكري في عديد المقالات والحوارات و الملتقيات الفكرية متمسكا بهذا النقد لما يوليه من أهمية كبرى في نظره، ولعل أهم هذه الاشكاليات الكبرى تمثلت في مفهوم العقل وتشطيره، إلى العقلانية المغربية واللاعقلانية المشرقية، التراث، القطيعة الابستمولوجية، العلمانية، الديمقراطية .

1/ نقدالعقل العربي وتشطيره :

يرى الجابري العقل في قوله :(الفكر بوصفه أداة للإنتاج النظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية بالذات، الثقافة التي تحمل معها تاريخ العرب الحضاري العام وتعكس واقعهم أو تعبّر عنه وعن طموحتهم المستقبلية، كما تحمل وتعكس وتعبّر في ذات الوقت، عن عوائق تقدّمهم وأسباب تخلّفهم الراهن)(محمد عابد الجابري،2009، ص.13-14)

إن مفهوم العقل عند الجابري، هو مفهوم ابستمولوجي يقول بالقطيعة المعرفية مع الماضي، إذ يجب على العقل النهوض بما يوافق الواقع من تجليات فوصفه بعملية تساعد على الانتاج الحضاري تصنعه ثقافة معينة لها ميزاتها وخصائصها التي تختلف بها عن الثقافات الأخرى ، وميزات هذا العقل العربي هو البيئة العربية التي نشأ وترعرع فيها وتشبع من قيمها ومبادئها،وتعكس توجهاته وواقعه وتعبر عن مستقبله، فكما يعبر العقل العربي عن الماضي الثقافي منخلال التاريخ والحاضر الذي يبنيه بمعية الغير والآخر فيتطلع الى المستقبل وما يجب أن يكون عليه العقل والنظر اليه من زاوية أفضل ، يعبر أيضا عن العقل من زاوية ما هو عليه ، ولعل المسألة الكبرى التي تناولها الجابري كمسألة جوهرية وهي نقد العقل العربي بداية من فكر الجابري الى الفكر العربي الآن وهي تجنب العودة الى تراث السابقين من خلال نظرتهم للعقل والتي تتسم بالنظرة التقليدية الكلاسيكية، فدعوة الجابري في هذا هي إعادة النظر في هذا العقل من حيث التبنية والتكوين الى العقل الأخلاقي العربي والعقل السياسي العربي .

المنارة للاستشارات
ww

إن بداية الخلاف بين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي كانت حول مفهوم العقل المكوِّن والعقل المكوَّن، وقد استخدم لالاند في موسوعته مصطلح العقل المتكون لا المكون، وهذا الخطأ الفادح الذي وقع فيه الجابري ناسبا المصطلح اليه إذ يقول في ذلك طرابيشي (بالإضافة إلى سوء فهم الجابري لتقسيم لالاندLALANDE للعقل الإنساني لجهله كذلك بالوظيفة التوحيدية للعقل المكون، فهذا التقسيم ينطوي على خطأ الفصل بين مكونات هذا العقل واعتبارها جواهر منفردة ومستقلة وهو ما سيترتب عنه تقسيم تعسفي للعقل العربي إلى عرفان وبيان وبرهان)(جورج طرابيشي، 1996، ص. 20) .

ولعل الحجة التي قدمها طرابيشي منطقية من ناحية أنها خطاب يدعو إلى النقد من ناحية ضرورة التوثيق عن الاقتباس سواء كان هذا الاقتباس شكلا أو مضمونا، ولكن الجابري لما صاغ مفهوم العقل المكوِّن والعقل المكوَّن لم يصغها بصيغة لالاند،وإنما كانت الصيغة عربية خالصة، فكما قام لالاند بتشطير العقل إلى عقل مكون وعقل متكون قام الجابري بتشطير العقل العربي من خلال تقسيم الأنظمة المعرفية إلى نظام معرفي بياني، ونظام معرفي برهاني، ونظام معرفي عرفاني، وهذا ما أثار حفيظة طرابيشي والقول بعدم ضرورة هذا التشطير ومحاولة تقسيم هذا العقل الى عقل مشرقي وعقل مغربي .

2/ العقلانية المغربية واللاعقلانية المشرقية :

قبل الولوج في المقاربة التالية يجب توضيح الفرق بين مفهوم العقل ومفهوم العقلانية. إذ تعبر العقلانية في مفهومها الشامل على نظرية أو مذهب فلسفي أو تيار فكري يجعل من العقل أساسا واحدا لكل معرفة ممكنة لذلك تعتبره المبدأ الوحيد الذي يحمل في ذاته إمكانية التعرف على الأشياء والظروف بمعية القدرات الذهنية التي يملكها الانسان، أما مفهوم العقلانية عند الجابري فهي تتعدد بتعدد الثقافات والأمم والمجتمعات، فلكل ثقافة نظرتها العامة والخاصة للعقلانية، لذا فالعقلانيات العربية كما يوظفها الجابري مجرد صراعات وتناقضات فكرية بين تيارات ومذاهب امتدت من الفكر العربي الحديث إلى الفكر العربي المعاصر ، لكن العقلانية في هذا الموضع كانت بمفهوم عام ونقيضه يقام على التشطير بين الفكر المغربي والفكر المشرقي، ولكن هذا التشطير كان تشطيرا جائرا كما وصفه طرابيشي في قوله :(أن طريقة الجابري في استخدامه لمعنى "العقلية" دون مفهومها تذكرنا أحيانا بتلك السيكولوجيا الجمعية البدائية التي اعتمدها أرسطو عندما قسم شعوب الأرض إلى أوربية باردة تملك الشجاعة ولا تملك العقل، وآسيوية حارة تملك العقل ولا تملك الشجاعة، ويونانية معتدلة تملك العقل والشجاعة . معا هي جديرة لهذا السبب، ولتوسطها بين الشعوب، أن تحكم العالم)(جورج طرابيشي، 1996، ص. 193) .

وفي سياق الحديث عن العقل العربي والمركزية الأوروبية يقول محمد عابد الجابري : (التفكير في العقل درجة من المعقولية أسمى من دون شك من درجة التفكير بالعقل، فلنجعل مرتكزنا في المقارنة مقصورا

المنارة للاستشارات
ww

على الثقافات التي تشترك مع الثقافة العربية في هذه الخاصية، وهي كما قلنا الثقافة اليونانية والثقافة الأوروبية الحديثة). (محمد عابد الجابري،2009،ص.18)

رد عليه طرابيشي بنقد لاذع لدخض هذا التوجه الذي سلكه الجابري، بالقول :(والحال أنه عند هذا المستوى بالتحديد، تعيد المركزية الإثنية الأوروبية إنتاج نفسها بقلم الجابري الذي يتبنى على هذا النحو، و بدون أية محاكمة تاريخية أو نقدية، أسطورتها الأولى و الأخطر، بإطلاق الأسطورة القائلة باستمرارية غربية، تاريخية و جغرافية). (جورج طرابيشي،1999،ص120)

إن نظرة طرابيشي لهذا المفهوم،هي نظرة نقدية سواء من ناحية الاقتباس والإرجاع، أو من ناحية صياغة هذا المفهوم البدائي ما يدعي القول فيه ، ولعلها أبرز النقاط التي أثار فيها طرابيشي مشروعه النقدي لما لها من وقع نفسي متأزم لدى المفكرين المشرقيين، فقسم العقل إلى أقسام قد تؤدي لا محالة إلى حرب فكرية و أهلية طاحنة كما يسميها طرابيشي، فهذا التقسيم لم يكن تقسيما جغرافيا فحسب بل هو أكبر من ذلك يرقى إلى التقسيم الابستمولوجي مع المشرق، فيقول في ذلك منتقدا الجابري: (وعلى هذا النحو يكرر الكلام مثنى وثلاث ورباع عن عرفانية مشرقية عن وصية وظلامية وعن عقلانية مغربية، أو عن مدرسة مشرقية إشراقية ومدرسة مغربية برهانية)(جورج طرابيشي، 1996،ص.292) .

والمقصود بالعرفان في هذا القول تلك المعرفة التي أنتجتها الثقافات السائدة قبل الاسلام في الشرق وانتقل الى الثقافة العربية الاسلامية بمزيج من العقائد والأساطير بثقافة غنوصية خالصة ، أما المقصود بالبرهان فهو طلب اليقين عن طريق التجربة الحسية والمحاكمة العقلية و يرتكز في فكره ومبادئه على العقل في التأصيل كما أنه مختلف عن الأنظمة الأخرى في المنهج والرؤية و بنيت أسسه على اللغة والدين، وهذا التقسيم لم يُرد به طرابيشي ووصفه بالخلل المعرفي الذي يحسب ضد الجابري بالسلب ، فقال في طرابيشي جازما : (إن دوائر العقل العربي الإسلامي متحدة المركز، سواء أكانت بيانية أم برهانية أم عرفانية، فهذا معناه أن النظام الإبستيمي لهذا العقل واحد)(جورج طرابيشي،2007، ص. 405)

إذن تكمن دعوة طرابيشي في توحيد العقل نظرا للتقسيم الابستمولوجي الذي قدمه الجابري للفكر العربي على طبق من ذهب، متناسيا في ذلك مقاربة أن العقل العربي ببنيته التكوينية يخضع للتبعية الفكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية مما يخلق صراعا بين المفاهيم والتأويلات لذا فحاجة العقل العربي لتحديث الجذور واعادة تكوينها بمبدأ يدعو الى الوحدة اعتمادا على التراث العقائدي للعرب والمسلمين، وعلى هذا وصف طرابيشي العقل العربي الاسلامي بضرورة توحيد المركز والقضاء على التقسيمات المعرفية للعقل، ولهذا فالنتيجة في قولة أن العقل العربي الاسلامي يجب أن يخضع الى قانون الوحدة .

3/ التراث في ميزان النقد :

المنارة للاستشارات
ww

تتلخصنظرة الجابري للتراث في قوله: (يبدو أنه من المستحيل علينا نحن العرب أن نجد طريق المستقبل ما لم نجد طريق الماضي. وبعبارة أخرى : لا يمكن للعرب أن يحلوا مشاكل المستقبل إلا إذا حلوا مشاكل الماضي، إلا إذا أحصوا وحاصروا رواسبه في الحاضر. وإذن فالمعركة يجب أن تكون نقدية، ويجب البدء برفع الضباب عن رؤية الماضي كي تتضح رؤية الحاضر والمستقبل)(محمد عابد الجابري، 1994، ص. 503) .

وعلى حد تعبير الجابري فالدولة التي ليس لها ماضي وتاريخ،هي دولة لا تتطلع للمستقبل، فأساس بناء كل دولة هو تاريخها، لذا فتاريخ العرب هو تاريخ لا يمكن التشكيك فيه من ناحية التركيبة الدينية والاجتماعية والسياسية خاصة الفكر الاسلامي منه،وبالرغم من الاتهامات والانتقادات اللاذعة التي وجهت له لفترات متعاقبة، تخللته مراحل ثلاث وثق لها العديد من المفكرين والفلاسفة والمؤرخين،تمتد من التأسيس و النشأة إلى التطور والازدهار حتى الركود والجمود الفكري، ولعل البحث عن خلفيات هذا الركود يكونبالعودة إلى سبب السقوط والتخلف الذي وقع فيه الفكر العربي عامة والاسلامي خاصة، وهذا ما يدعو اليه الجابري في نقده للتراث بإحداث قطيعة معرفية مع قراءات السلفية للتراث إذ قال في ذلك : (القراءة السلفية للتراث قراءة لا تاريخية، وبالتالي فهي لا يمكن أن تنتج سوى نوع واحد من الفهم للتراث هو: الفهم التراثي للتراث. التراث يحتويها وهي لا تستطيع أن تحتويه لأنها: التراث يكرر نفسه)(محمد عابد الجابري،1993، ص. 45). هكذا نظر الجابري للتراث بنظرة نقدية تدعو الى اعادة النظر فيه من خلال العودة الى أسباب التخلف الفكري السياسي والاجتماعي والثقافي للعقل العربي .

إن النقد الذي قدمه طرابيشي في مفهوم التراث قد خصص له مؤلفا كاملا تحت اسم "مذبحة التراث" ، والواضح في ذلك أن عنوان الكتاب يلخص نظرة طرابيشي للتراث، فالتراث في نظره لا هو إعادة لما حدث، ولا هو حشو لظواهر تاريخية ماضية، و لا هو سرد أحداث، إذ يعني طرابيشي بمذبحة التراث كمصطلح تهكمي، جعل له ثلاث فصول كاملة تمثلت في المذبحة النظرية من زاوية التيار الماركسي والتيار القومي (العلماني – الاسلامي) والتيار العلمي، ويبرر طرابيشي وضع هذا العنوان لكتابه في قوله:(قد يبدو هذا العنوان استفزازيا أو مشتتا أو بعيدا، وعلى أي حال عن الرصانة العلمية ، ومع ذلك لم نجد بدا لنا أنه يعبر بدقة عن ما يجري في الساحة الفكرية ، ولكن مهما يكن من أمر فلنقر بأن عنواننا هذا يقوم ضمنيا على ضرب من مفارقة)(جورج طرابيشي،2012،ص.07) .

إن مصطلح المذبحة لا نجده الا في قواميس الحروب والصراعات السياسية والايديولوجية، لذا وظفه طرابيشي كعنوان لكتابه – مذبحة التراث – والمقصود بهذا ذلك الصراع الذي أحدثه التيارات الفكرية من التيار الماركسي إلى التيار القومي الى التيار الفلسفي فكان الفكر العربي الاسلامي بهذا مسرحا للصراع حول مسألة التراث بين التقليد والتجديد والانفصال والقطيعة فنراه مشوها ممزقا على حسب إيديولوجيات كل مفكر، وعلى نقيض ذلك نجد طرابيشي يدافع عن قدسية التراث بعيدا عن المعتقدات الباطلة التي تتبلور في أذهان المفكرين العرب منهم والغربيين .

المنارة للاستشارات
ww

4/ القطيعة الابستمولوجية من منظور عربي :

إنمصطلح ابستمولوجيا Epistémologie من الجانب اللغوي،هو مركب من: الابستميEpistémic مثل ابستمولوجي، مشتق من Epistem ،و هي الكلمة اليونانية التي ترادف المعرفة(تدهوندرتش، د.س، ص. 20)

أما تعريف لالاند لمصطلح ابستمولوجيا (الابستمولوجيا،المعلوميّة Epistémologie تدلّ على فلسفة العلوم، لكن بمعنى أدق، فهي ليست حقا دراسة المناهج العلمية، التي هي موضوع الطرائقية وتنتمي إلى المنطق، كما أنها ليست توليفاً أو إرهاصاً ظنياً بالقوانين العلمية على منوال المذهب الوضعي والنشوئي جوهريا، المعلوميّة هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضيّاتها ونتائجها، الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي، وتحديد قيمتها ومداها الموضوعي)(أندريه لالاند، 2001، ص356 و357).

أما مفهوم القطيعة الابستمولوجية فظهر لأول مرة مع المفكر والفيلسوف الفرنسي غاستون باشلارالذي يعتبر مؤسسها وواضع معالمها، أراد باشلار بتأسيس هذا المصطلح أن يعزل المعرفة العلمية عن المعرفة العامية الساذجة الشائعة، وكان يقول في صياغ حديثه عن القطيعة المعرفية أنه في البداية كانت الاخطاء لا الحقائق، ثم تجيء المعرفة العلمية لفرز الحقيقة من الخطأ أو لاستخلاصها من رحم الاخطاء المحيطة بها.

يرى الجابري المفهوم الابستمولوجي من زاوية أنه منهج وسبيل لإعادة بناء وتكوين العقل العربي من خلال القطيعة المعرفية مع التقليد الذي فرض على ذلك العقل لفترة زمنية طويلة ، ولعل هذا المفهوم لم يكن من بنات أفكار الجابري،إنما كان من خلال المرجعيات الفكرية والمصادر الغربية، إذ وظف الجابري هذا المفهوم فيدراسات للتراث للكشف عن العوائق الابستمولوجية الموجودة في المعرفة التراثية ووضع قطيعة معرفية كلية معها، ولعل أهم تجليات هذا المفهوم قد وظفت في مؤلفين للجابري هما "مدخل إلى فلسفة العلوم" و"نحن والتراث" .

لذا فمفهوم القطيعة الابستمولوجية عند الجابري يتجسد في تشطير العقل بين عقل مشرقي وعقل مغربي دعوة منه للقطيعة مع الآخر ، فانحيازه للنموذج الغربي تبعا للأفكار الرشدية (ابن رشد) واقصائه للنموذج المشرقي كابن سينا والفارابي وغيرهم ، ولكن هذا المفهوم لم يكن مفهوما جغرافيا بل كان مفهوما ايديولوجيا وهذا ما أثار حفيظة طرابيشي من خلال النظرة السلبية للعقل العربي وتشطيره وانقسامه .

5/ العلمانية مفهوم حداثي وما بعد حداثي :

إن العلمانية مفهوم تتضارب فيه الآراء، وتختلف فمنهم من يردها إلى اشتقاق العلم، ومنهم من ينفي ذلك، وللعودة إلى ضبط هذا المفهوم لغويا، نجد تعريف عبد الوهاب المسيري أكثر بساطة ووضوحا، فيقول في ذلك :(كلمة علمانية ترجمة لكلمة Secularism في الإنجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية سيكولومSaeculum وتعني العصر أو الجيل أو القرن، أما

المنارة للاستشارات
ww

في لاتينية العصور الوسطى فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا مقابل الكنيسة) (عبد الوهاب المسيري،2002، ص. 53). لكن محمد قطب له نظرة أخرى لمفهوم العلمانية فيقول (المعاجم العربية اتفقت على شكل الكلمة بفتح العين لا بكسرها، وقامت كل المعاجم بنسبتها إلى العالم وليس العلم وترجمتها إلى العربية بلفظ " علمانية " هي ترجمة مظللة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم)(محمد قطب، 2001،ص. 44) . كل من التعريف الأول والثاني يُرجع مفهوم الكلمة إلى العالم وليس العلم، لكن المفهوم العام والشائع لهذه الكلمة هو فصل الدين عن الدولة أو فصل الدين عن شؤون الدولة السياسية، ويؤكد ذلك المسيري من خلال ما ورد في معجم أوكسفورد باللغة الانجليزية علماني : غير معني بالشؤون الروحية أو الدينية ، دنيوي ، وعلمانية : الاعتقاد بأن الأخلاق ، التعليم... الخ يجب أن لا تبنى على الدين .

أما اصطلاحا فيعرفها محمد عمارة في قوله (العلمانية هي جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم دونما تدخل من شريعة سماوية هي وحي من الله المفارق لهذا العالم)(محمد عمارة، 2003 ، ص. 7).

ومن هنا تتضح نشأة العلمانية في بلاد النصرانية والمسيحية وموقف الكنيسة من الدولة، إذن فالمقصود من هذا المصطلح واضح تماما، لما يحمله من قطيعة بين الدين والدنيا وجعل هذا العالم يسير وفق قدرات الانسان المختلفة بمعزل عن القدرات الإلهية .

أما العلمانية في نظر طرابيشي فهي تخضع للإيديولوجيات والصراعات القائمة بين التيارات الفكرية فلكل تيار ايديولوجيته الخاصة به تُخضع هذا المصطلح وتوظفه على حسب آرائه، بينما نظرة طرابيشي للعلمانية هي نظرة تبني لأنها ضرورة حتمية كأساس للنهضة العربية والغرض منها تفادي الصراعات الأهلية والعقائدية بين الفرق والطوائف ، مهتما بتقارب مفهومي الحداثة والعلمانية .

يحاول طرابيشي اقتصار العلمانية بالمقاربة مع البيئة العربية الاسلامية إلى الجهاد في سبيل الدنيا كخيار بديل عن الجهاد في سبيل الآخرة (جورج طرابيشي،2008، ص. 98).

ودلالة هذا المفهوم هو النظر إلى أمور الدنيا و جَعْل أفعالنا وحتى كثير من تصوراتنا مقتصرة على خدمة حياتنا الحاضرة، وإيلاء حياتنا الدنيا من حيث هي دار لاجتماع البشر المختلفون دينيا وعرقيا أهمية أكبر مقارنة بالأهمية التي نوليها لحياتنا الأخرة، وترك هذه الاخيرة للاعتقاد الشخصي.

6/ الديمقراطية والتنظير للخروج من الأزمة السياسية :

تعني الديمقراطية في مفهومها الشامل حكم الشعب، و هي كلمة يونانية تتألف من شقين: ديموس وكراتوس أي حكم الشعب لنفسه، وتعبر الديمقراطية في مبادئها عن إرادة الشعب في اختيار من يمثلهم في السلطة، ينقل بذلك انشغالاتهم ومطالبهم وحاجياتهم، والديمقراطية تكون مصطلحا ومفهوما ومذهب ومدرسة امتدت ضمنيا منذ أن امتلك البشر حريتهم ورغبتهم في التعبير عن مطالبهم بدون قيد أو شرط .

المنارة للاستشارات
ww

يتبلور مفهوم الديمقراطية أساسا في الفكر القومي العربي ممثلا في برهان غليون نموذجا والذي يقول عنها :(إن من أهم محاور الفكر العربي البحث في مسألة القومية، وطرحها بأسلوب نقدي في مستوى الديمقراطية، فقد حل الخطاب التحرري القومي إبان مرحلة نزع الاستعمار في شكل جديد للقومية، يعبر عن نفسه إيديولوجيا وسياسيا)(برهان غليون،1992، ص. 67).

ولعل الحديث عن الديمقراطية لا ينحصر في المصطلح أو أساس تشكيل المصطلح أو حتى تطور هذا المفهوم،وإنما المسألة الرئيسية هي البحث عن سبب فشل الديمقراطية في الوطن العربي رغم أنها نجحت في الدول الغربية، لذلك أراد الجابري وضع البديل من خلال إزاحة العوائق عنها،ولكن لتجاوز هذه العقبات يستلزم من الحاكم الاتفاق مع المحكومين اتفاقا ثابتا متبادلا، وهذا نادر الحدوث ما يجعل الديمقراطية صعبة المنال،ويرجع هذا الفشل إلى عدم الإيمان بالديمقراطية إيمانا تاما وعمليا، أي الخضوع لها بالرغم من السلبيات التي تحملها، كما يرجع الفشل إلى صراع وتصادم التيارات الفكرية كالتيار السلفي والتيار الماركسي والتيار القومي والتيار الليبرالي، فالصراع الايديولوجي في نظره يؤجل تحقيق الديمقراطية ويعرقلها، نظرا للتأزم الفكري الذي ينتج عن التعصب للتيار أو المذهب، ويرجع بذلك أصل تحقيق الديمقراطية تجسيدها العملي والتام في أن النظام الديمقراطي كان عند اليونان أبغض نظام عندهم ، لذلك وصف أفلاطون وارسطو بأنهما "منظّرون رجعيون،بهذا يرفض طرابيشي مناظرة الديمقراطية في الثقافة اليونانية والديمقراطية في الثقافة الاسلامية .

خـاتـــمـــــة :

يعد تشكيل المفهوم، ضرورة معرفية تستدعي تكثيف الدراسات حوله، والحديث عن هذا المفهوم يكمن في بنائه وإعادة تأسيسه، بما يتوافق مع تساؤلات الفكر العربي المعاصر، لذا وجدنا طرابيشي قد قدم للجابري سلسلة نقدية، يكشف فيها عن ملابسات اختلاف المفاهيم، من حيث هي صراع وهفوة وكبوة واقتباس غير موثق لصاحبه، بالرغم من وجود الجابري في الساحة الفكرية،إلا أن الرد لم يكن واضحا وصريحا وبسيطا على حد قول طرابيشي، لذا فالفكرة الرئيسية التي يبنيها طرابيشي من خلال نقده للجابري، هي إعادة النظر في سبات العقل العربي، الذي غلفه التقليد، وحجمته التيارات، واختلفت فيه الايديولوجيات،ما خلق بهذا العقل تشويشا معرفيا، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية، فالدعوة هنا هي الدعوة إلى التجديد، والقول بالتحديث والقطيعة مع السلبيات التي خلفها العقل العربي، فأزّمته ووضعته في قالب جامد، لا يخضع لا للتغيير الزماني أو التغيير المكاني، بالرغم من فصل الجابري لهذا العقل، ومن هنا تتضح لنا صورة نقد النقد بمناظرة علمية بين المفكرين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي .

المصادر والمراجع :

المنارة للاستشارات
ww

1. محمد عابد الجابري، (1997)، حفريات في الذاكرة من بعيد، ط 1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .
2. ابن منظور،د. س، لسان العرب، حققه: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج2،القاهرة، دار المعارف .
3. أندريه لالاند، (2001)، الموسوعة الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ط2، بيروت، منشورات عويدات.
4. سعيد يقطين، (1997)، ط3، تحليل الخطاب الروائي، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
5. محمد عابد الجابري، (2009)، تكوين العقل العربي، بيروت، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية.
6. جورج طرابيشي، (1996)، نظرية العقل، ط 1، بيروت. دار الساقي .
7. جورج طرابيشي، (1999)، نظرية العقل، ط 2، بيروت، دار الساقي .
8. جورج طرابيشي،(2007)، وحدة العقل العربي الإسلامي، ط7، بيروت، دار الساقي.
9. محمد عابد الجابري، (1994)، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، ط3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
10. محمد عابد الجابري،(1993)، نحن والتراث، ط 6، الدار البيضاء - المغرب، المركز الثقافي العربي
11. جورج طرابيشي،(2012)، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الساقي ، بيروت، ط2 .
12. تدهوندرتش، د. س،دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، د ط، ليبيا، المكتب الوطني للبحث والتطوير.
13. عبد الوهاب المسيري، (2002)، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط 1، القاهرة، دار الشروق.
14. محمد قطب، (2001)، مذاهب فكرية معاصرة ، ط 9، القاهرة، دار الشروق.
15. محمد عمارة، (2003)، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط 1، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع
16. جورج طرابيشي،(2008)، هرطقات 2: عن العلمانية كإشكالية إسلامية-إسلامية، ط 1، رابطة العقلانيين العرب، دار الساقي .
17. برهان غليون، (1992)، الوعي الذاتي، د ط، تونس، دار البراق للنشر.

المنارة للاستشارات
ww